

وكالة اللا سفر: مبيتات مكتظة بدل من الإجلاء

تنقل المفوضية مائة وستين محتجا من شارع البحيرة ببوا، مقصية حوالي مائة شخص مازال يعيشون في الشارع، لكن الاعتصام ما زال قائما

المؤلفين: فالينتين لوماليو، ريكاردو بيجي، لوكا راميلو

المترجم: ريكاردو بيجي

نقل ١٦٠ شخصا إلى مبيتات المفوضية الجديدة وإقصاء الـ ١٠٠ الآخرين

تم نقل ١٦٠ لاجئا وطالب لجوء إلى مبيتات في ضواحي تونس العاصمة بمنطقة الرواد تحديدا يوم الإثنين ٦ جوان. فقبل الرجال والنساء والأطفال المرهقون، بعد خمسة أشهر من الاحتجاج والعيش في الشارع، في ظروف صحية هاشية، الحل الوسط الذي قدمته المفوضية. تم ذلك بعد وعود متكررة من المفوضية بتسريع استكمال إجراءات اللجوء التي كانت قد علقتها مع الأنشطة الأخرى منذ أن بدأ الاحتجاج



المبيت الذي انتقل إليه المحتجون، في منطقة الرواد على مسافة ٢٠ كيلومتر من مركز تونس العاصمة. الصورة ل: بيجي، لوماليو، راميلو

فإن الوعود بإعادة فتح طلبات اللجوء سهلت في إقناع المحتجين على قبول اقتراح الانتقال إلى المبيتات، مع أن ذلك يخلق ترفقات مصطنعة بين مجموعة المعتصمين. وبالنسبة إلى المحتجين فأتت ضغوطات المفوضية على مجموعة جرجيس إلى درجة تهديد ممثلينها بأن إنضمام أشخاص جدد إلى الاعتصام قد يضر سلبيا على طلبات اللجوء الخاصة لهم

في إدارة هذه الحالة سعت المفوضية إلى أنها تعيق توسيع الاعتصام ونموه، وذلك من خلال منع من انضم إليه فيما بعد من التسجيل أو من توصيل إجراءات اللجوء الخاصة لهم، كما أنها قيدت لهم بطريقة غير مباشرة الوصول إلى الخدمات الأولى مثل العلاج الطبي

لئن موظفين المفوضية قالوا للمحتجين إن الأشخاص المائة الذين بقوا في الاعتصام ليست لهم وثائق طلب لجوء، إلا أن الشهادات التي التقطناها تبين العكس. فكان بعض المعتصمين الباقين في شارع البحيرة من مجموعة المحتجين الأولى التي تكونت في جرجيس. وتضيف لنا المعتصمون أن الأغلبية المحتجين يحملون ورقة طالب لجوء أم لاجئ، ما يجعلهم أشخاص معنيين للمفوضية، وهذه الصفة القانونية لمن تتحمل وكالة الأمم المتحدة المسؤولية عنهم. وتزداد الحالة حدتها بسبب لاجئ قاصر غير مصحوب تم تشخيصه بمرض الزهري

وحسب تصريحات المحتجين فأفاد بعض موظفي المفوضية إن الأشخاص الذين مكثوا في الاعتصام هم "في قوة الشباب" فيستطيعون أن "يدبروا عن أنفسهم". إلا أن هذا المنظور لا يأخذ بعين الاعتبار، بل بالأحرى أن نقول إنه يغفل تماما، التدهور الشديد للحالات الصحية والنفسية بعد شهور في العيش في الشارع كما ضرورة إنقاذهم استعجاليا

في كل حالة لم يُنقل إلى المبيتات لا جميع المحتجين من جرجيس ومدنين ولا جميع الأفراد الهاشيين والأشخاص المعنيين للمفوضية. فيبدو أن هدف الحل الذي اقترحته المفوضية ليس إلا القضاء على الاعتصام بأسرع ما يمكن، فيخرب الاحتجاج سمعة المفوضية.

في كل حالة لم يُنقل إلى المبيتات لا جميع المحتجين من جرجيس ومدنين ولا جميع الأفراد الهاشيين والأشخاص المعنيين للمفوضية. فيبدو أن هدف الحل الذي اقترحته المفوضية ليس إلا القضاء على الاعتصام بأسرع ما يمكن، فيخرب الاحتجاج سمعة المفوضية. ولكن رفضت بضعة ممثلين المحتجين أنهم يتركوا الاعتصام وقرروا البقاء مع عائلاتهم



تسقط المطر على اعتصام اللاجئين وطالبي اللجوء في شارع البحيرة بتونس العاصمة. صورة ل: بيّجي، لوماليو، راميلو

المبيتات الجديدة: مكتظة وبدون فراشات

لكن الظروف المعيشية في المبيتات ليست أحسن. أما أولا، فتقع منطقة الرواد على شاطئ البحر بعيدا عن مركز المدينة. ثانيا، تتكون المبيتات التي وفرتها المفوضية للمحتجين من عمارتين مكتظتين تضمnan إثنا عشر شقق بإثنين أو ثلاث غرف لحوالي ١٥٠ شخصا. وتقعان المبيتين بين قناتين تصيبهم البعوض، ما لاحتظاه بأنفسنا

ليست المراتب والسرير موجودة في الشقق ولم تستكمل الأشغال لتحضير المطابخ، وينام المحتجين على الأرض وبنفس الأغلفة التي كانوا يستعملونها في شارع البحيرة، وما زالت تستعمل بعض العائلات نفس مواقد الغاز. ولم يقوموا بعض الناس بالتراجع عن حزمات متعلقاتهم لأن المنازل التي وفرتها لهم المفوضية لا تسمحهم بالاستقرار

وكان رد فعل الجيران لوصول المعتصمين هو سلوك كرهية الأجانب، فحسب المحتجين فحذر لهم بعضهم ألا يصيبون الحي بأمراضهم. وما قد تكون استجابة الرأي العام في أوروبا لو قد قام شعبها بهذا التعامل مع اللاجئين الهاربين من الحرب في أوكرانيا، بدلا من الحرب من السودان وليبيا وإريتريا وجمهورية أفريقيا الوسطى؟

وكان رد فعل الجيران لوصول المعتصمين هو سلوك كرهية الأجانب، فحسب المحتجين فحذر لهم بعضهم ألا يصيبون الحي بأمراضهم. وما قد تكون استجابة الرأي العام في أوروبا لو قد قام شعبها بهذا التعامل مع اللاجئين الهاربين من الحرب في أوكرانيا، بدلا من الحرب من السودان وليبيا وإريتريا وجمهورية أفريقيا الوسطى؟

وستواصل نقل المعتصمين إلى الميئات على نسق ٥ أشخاص كل يوم، حسب مصادرها. فقد تنوي المفوضية إلى تعميم حضور هذه الفئة في تونس: ليست الشقق ممتازة، لكنها أحسن من الشارع



أحد ممثلي المحتجين على خلفية بحيرة تونس. صورة ل: د.ف

تصنيف الأشخاص لتمييزها وليس لحمايتها

لا بد من التساؤل والتأمل في خطورة استعمال التصنيفات الأساسية (بما فيها لاجئ وطالب لجوء ومهاجر) لنظام الهجرة الدولية، والتي تعتبر غير مؤدية للأشخاص المنتقلين إلا أنها قابلة للتفريق بين حمايتهم أو تركهم إلى الموت. والدليل القاطع لهذه الخطورة أنه ينضم في الاعتصام أشخاص من نفس الجنسية وبنفس حكايات الاضطهاد والذين تم الاعتراف أنهم لاجئون أم في العكس تم اعتبارهم بصفة "المهاجر الاقتصادي" المجرمة

فإن الإقتناع الصارم للمحتجين بأنهم حركة موحدة بغض النظر عن حكاياتهم الخاصة وتحفيزاتهم الفردية، يبين عدم قابلية هذه التصنيفات لوصف التجارب الإنسانية في كاملها. ففي الاعتصام يساندون المحتجين بعضهم البعض ويشاركون ما عندهم من دون أي تمييز هرمي. ويطالب الجميع بالإجلاء من بلد يتعرضون فيه إلى خطر يومي ويمعنهم من البحث عن حياة أفضل

عاد ممثلين المفوضية إلى التفاوض مع المحتجين الذين بقوا في الاعتصام يوم الجمع ١٠ جوان، وتضيف مصادرها أنهم طلبوا منهم ترك الاعتصام في مقابل إعادة فتح ملفات طلب لجوء بادئا من يوم الإثنين ١٣ جوان. أما الحل الوحيد للمعتصمين فهي لا تزال الإجلاء



يشحن المحتجون هواتفهم في المقابس المتوفرة بالقرب من مكان الاعتصام. صورة: بيجي، لوماليو، راميلو

ديجا فو": تونس قمع الانتقالات من أفريقيا إلى أوروبا

طعم هذه الحالة هو طعم الـ "ديجا فو" المر. ففي ٢٠١٣ قد نقلت المفوضية مئات من اللاجئين لم يمنح لهم إعادة التوطين، إلى مبيئات غير رسمية مثل مبيئات الرواد التي ليس فيها مرافق للتعليم والعلاج الطبي الأساسية. فقد كانوا قد صمدوا هؤلاء اللاجئين في احتجاج مخيم شوشة التي أقامته المفوضية في ٢٠١١ في الصحراء على الحدود بين ليبيا وتونس والذي كان هدفه استقبال آلاف النازحين الهاربين من الحرب في ليبيا

وبالرغم من الحاجة العاجلة إلى إعادة التوطين إلى بلد آمن لجميع اللاجئين، فقد لم يتم تحقيق هذا الطلب إلا لبعض المانات المحظوظة منهم وقد مكثوا الآخرون في المخيم منذ إغلاقه في عام ٢٠١٤ حتى إجلائه في عام ٢٠١٧. ونقلتهم المفوضية إلى مبيت في حي المرسى في الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية فحاولوا منذ ذلك الحين أن يزرقوا معيشة بالرغم من نسبة البطالة المتزايدة ونقص الفرص الذان يدفعان آلاف المواطنين التونسية لمغادرة البلاد والوصول إلى الضف الإيطالية بطريقة غير شرعية

أما أغلبية المهاجرين الذين تم نقلهم من شوشة إلى المرسى، فما زال ينتظرون، فقد حولت نظام الهجرة الدولي حياتهم إلى زمن الانتظار اللانهائي لا هدف له. أما آخرون منهم فقد حاولوا عبور البحر الأبيض المتوسط وحتى الرجوع إلى ليبيا، فلا يستثنون المحتجون في شارخ البحيرة تلك الحلول، كما يقول أحد المعتصمين: "يا حسرة أنهم لا يستمعون إلينا، فإذا لن يقوموا بإجلائنا بطرق قانونية فلن يبقى للكثيرين منا إلا حل الرجوع إلى البحر الأبيض المتوسط. وقبل نهاية العام، سوف نسمع أن أكثر من عشرة منا قد ماتوا في البحر



يغني المحتجين في الاعتصام: "تونس ليس بلد أمن! نريد الإجلاء!" صورة ل: بيجي، لوماليو، راميلو

في ذكرى المرحوم محمد فرج مؤمن

في غضون ذلك، تمت جنازة محمد فرج مؤمن يوم ٣١ مايو في مقبرة الجلاز في تونس العاصمة. على الرغم من الصعوبات التي واجهها معظم المحتجين في دفع ثمن وسيلة النقل، إلا أن دفن الرفيق والرعية خطوتان لازمتان بعد أن تلقى أفراد عائلة المرحوم وثائق رسمية من مستشفى شارل نيكول في تونس العاصمة بعد مدة حوالي أسبوع منذ وفاته، تقرب وتعزى لهم جميع المعتصمين